من ذاكرة المدينة

المحطة

أيّ حديث هذا الذي يشرق في الروح بعد نصف قرن ، وأية ذكرى وأيّ حنين لمحطة العمر ونحن نواجه الستين التي يصفونها (بحد السكين).
إنّ من يتذكر محطة القطار- وكانت انساً ومتعة وفرحاً لأجيال متعاقبة- لا يتذكر منها بناية وقطارات ، بل كانت شيئاً أعمق يتجذر في النفوس ، ويحكي عن عالم جميل ودنيا من البهجة والمسّرة. كانت محطة القطار مواعيد فرح وتوديعاً واستقبالاً وحركة وصخباً وانفعالات فراق وحزن.. بناية مهيبة وساحة طويلة بطول الرصيف مكتظة بألوان من البشر جماعات جماعات مودعين او مستقبلين ، ضاحكين فرحين او دامعي العيون- رجالاً ونساءً- وكان لجماعات الشباب حضور واضح في ضجيجهم وصخبهم وأحاديثهم المرحة المفعمة بالحيوية والنشاط وكنت ترى دائماً اعداداً كبيرة من هؤلاء المودعين والمستقبلين إذ كان حضورهم للمحطة يشكل طقساً مهماً من طقوس المتعة ، وكأنه سفرة او زيارة لمكان عزيز يتسم بخصوصية

(٢-١)

أنور عبد العزيز

. أتذكر الآن ذلك الرصيف الطويل والاضواء المشعة وعشرات من الناس في حركة نشيطة صاعدين او نازلين من العربات او داخلين الى مبنى المحطة ليشتروا من حانوتها او ليستريحوا فيه او ليشربوا الشاي. ويتوجه البعض منهم لكشك خاص لابتياع جريدة او مجلة جديدة او قديمة ليأنس بها في الطريق.
لم تكن عربات القطار في ذلك الزمان شيئاً مريحاً، عربات قديمة بمساطب خشبية طويلة بمساند يابسة توجع الظهر ثم استبدلت مع تقدم الخمسينيات بمقاعد منفردة، ويقول مسافرو الأربعينيات ان القطار كان مظلماً لا كهرباء فيه وانهم كانوا يتجهزون بالشموع يستعينون بها في ظلامه (وبمهفات) يرطبونها بالماء يستعينون بها على حره و (بشربات الماء) يعلقونها بشبابيك القطار لتتبرد بهواء الليل .
لم يكن هناك تكييف، فقد كان حاراً خانقاً في الصيف، يتسلل الغبار الى عرباته بكثافة خاصة عندما يقترب من منطقة الكثبان الرملية في (تلول الباج) وحتى بعد ان يغادر (بيجي) وبارداً مؤذياً في الشتاء يتسلل برده الى العظام ومع كل ذلك الحر والبرد والأذى كان القطار حلواً في نظرنا وقلوبنا بصوته الصارخ وهو يدرج في البداية- بطيئاً على السكة مودعاً المحطة وبيوت موظفيها ثم (قنطرة الغزلاني) والمعسكر والمطار والاشجار والمباني ليشتد سيره ويقوى توقيعه النغمي وهو يردد عبارة كنا نحبسها في النفس ، أي اسم او كلمة او عبارة- وكما يشاء خيالنا كان يترنم معنا ونترنم معه وكما نشاء ونهوى، وكم ردد لنا القطار الجميل أسماء حبيبات لنا من دون ان يعرف أحد بذلك .
لم يكن هناك حجز لمقاعد، فلم تكن هناك مقاعد مرقمة بل مصاطب للجميع (عدا الدرجة الاولى والثانية) فقد كان شراء التذكرة وكانت بمئتين وخمسين فلساً او ثلاثمئة لا أتذكر جيداً وكان الحجز مشكلة، ومن يأتي مبكراً فهو الحاجز لمكانه، لذا كنت ترى- صيفاً وشتاءً- العربات وقد امتلأت بالأولاد الصغار وحتى الكبار، ومنذ الساعة الثالثة عصراً والقطار يغادر في التاسعة مساء- يحجزون أماكن لأهليهم وذويهم المسافرين، ومن يتأخر يظل حائراً وان كان في النهاية- سيجد له موطناً جالساً او واقفاً- الى حين خمس او ست ساعات كان يستغرق ذلك الحجز، رغم ان ذلك لم يكن يحدث في كل الأيام او المواسم ففي ليال كثيرة كان القطار يغادر غير مكتظ ولا مزدحم.
لم تكن المحطة ممتلئة بهؤلاء الحاجزين فقط، بل كانت للطلاب والتلاميذ ملتقى وملعباً ومكان دراسة بحدائقها وساحاتها وحتى سكك الرصيف (والفراكين) خاصة عربات الحمل، فكنت تقرأ على هذه العربات اسماء الطلاب وتواريخ لقاءاتهم، وشيئاً مما يدرسون من آيات قرآنية وشعر وتمارين رياضية او هندسية ولوغاريتمات وأبيات غزل وتذكارات حب يخطونها بالطباشير، وكان من هذه الاسماء ما مكتوب بالانكليزية، يهدونها لقراء مجهولين في محطات بعيدة، ولم يكن لهؤلاء الطلاب وقت محدد تراهم فيه فهم موجودون في الظهيرة والعصر وحتى المساء مستفيدين- في دراستهم- الجادين منهم غير اللاهين او العابثين بمصابيح المحطة وساحاتها وحتى باعمدة الضوء البعيدة المعزولة عن المحطة.
ترى المحطة قبل ساعة او ساعتين- من مغادرة القطار- تموج بالحركة وكان صنبور الماء الوحيد يعمل بمضخة مزدحماً بمالئي (الترامس) وحتى (الشربات) وكان ربط ماكنة القطار بالعربات شيئاً مسلياً وكذلك فحص عجلات القطار، ثم التهيؤ لتسلم إشارات الحركة من عامل خاص باعتماد اعلام ملونة صغيرة، كل ذلك كان ممتعاً، وعندما تهدأ الحركة الصاخبة للمودعين الذين يتسمرون على الرصيف بانتظار لحظات التوديع، حتى لو كان السفر الى (حمام العليل)، المسافرون استقروا في اماكنهم الا بعض النزقين منهم الذين يظلون معلقين بالابواب، عارضين اعجابهم بنفسهم وشبابهم وفتوتهم امام الفتيات خاصة .. شيئاً فشيئاً يهدأ كل صوت ويعم صمت في الدقائق القليلة التي تسبق الساعة التاسعة. إنني وبعد اكثر من خمسين سنة أتحسس ذلك الصمت العميق والذي كان يوحي بالأسى، وبان السفر والفراق شيء صعب وأليم. القطار- وكان مارداً في نظرنا يقول ذلك بلغة واضحة وكأنه يشارك الجميع مشاعرهم، ثم تعلن الإشارة الأخيرة لحامل العلم الأذن بالحركة، يعقبها ذلك الصفير الحاد، ثم يعقبه صمت آخر لدقائق قليلة، وتبدأ الحركة الناعمة للعجلات وصوت إنزلاقها الحركي على السكة البيضاء، ويدرج مبتعداً مكرراً صفيره، ثم يغيب في عتمة قنطرة الغزلاني وما بعدها.
كان هذا هو العالم الخارجي للقطار، اما عالمه الداخلي فكان أكثر حميمية والفة .. خليطاً من الناس بأعمار وأزياء وسحنات مختلفة، وما ان يشعروا بان القطار قد ابتعد وغادر حدود المدينة حتى يبدأ البعض منهم بتغيير ملابسه مرتدياً الدشداشة او البجامة، ومنهم من ارتدى البجامة تحت بنطلونه، يجلسون منفردين او متجاورين، هذا يخرج مجلة او جريدة ليبدأ القراءة، وما ان يضجر منها او ينتهي حتى يطلبها جاره القريب، ثم تنتقل لثالث، ولتتجول في كل العربة وربما عادت لصاحبها او تسللت الى عربة اخرى، فما كان صاحبها حريصاً على إعادتها فثمنها زهيد، ثم هي جريدة يومية او مجلة وقد تكون قديمة اشتراها بعشرة فلوس.. كان البعض خاصة العوائل التي فيها أطفال- يعجلون في إخراج الطعام من الصرر والزنابيل والحقائب ليأكل الصغار قبل ان يناموا، وكان الطعام كثيراً ميسوراً للجميع أغلبه من النواشف (كليجة، بيض، دجاج، كباب، وكبة صغيرة، وحتى كبيرة وساندويج) وكان في بداية ظهوره- والفواكه بمختلف أنواعها حتى الشمزي (الرقي) بحجمه الكبير وترامس الشاي.. كانت كل عربة تبدو للناظر وكأنها (عربة مطعم) حتى التسالي من جرزات وعلك (ابو السهم) كل العربات كانت مطاعم ومضايف للجميع، فلم يحصل ان أكل احد طعاماً بمفرده- إلا في حالات أقول إنها نادرة- ولكنها كانت تعتبر حالات شاذة وقد تدخل فيها حالات بعض المرضى او من الخجولين فلا بد من ان تقدم- وأنت تأكل- لجارك شيئاً حتى ولو يجلب معه أي طعام، وان تقدم له الشاي وتتبادل معه السجاير.. إن كنتما مدخنين وحتى العوائل كانت تقدم من طعامها وكذلك العزاب المنفردون.. حالة اجتماعية جميلة- يعرفها الجميع- وتعاطف وكرم لا يمكن ان يرفضه الآخرون.. كانت الأسر تحظى برعاية واهتمام إذ يوفرون لها أماكن لنوم الصغار حتى على حساب راحتهم، وكذلك كان للشيوخ من كبار العمر رعاية خاصة، ولكن هؤلاء الصغار لم يكونوا راضين بالنوم السريع قبل ان يجتازوا (قنطرة النفق).. وبرغم ان المسافر ليلاً لم يكن يشعر بهذه القنطرة- كما في النهار- الا في ازدياد عمق الظلمة وارتفاع صوت الماكنة وهدير العجلات اما في النهار فقد كان الفرق كبيراً إذ يستحيل النهار ليلاً- ولدقائق- وكان ذلك مسرة للصغار واية مسرة! ينتظرونها بلهفة وبأسئلة ملحة على أهليهم (متى نصل النفق؟!) ...
كان النوم في ذلك القطار اذى ومعضلة، فما ان يجتاز القطار النفق- وحتى قبل ان يصل حمام العليل- يبدأ (بعضهم) في النوم او التناوم ممددين أرجلهم على المصاطب مرتاحين بطولهم، ومع الوصول الى محطات الطريق تبدأ المشاكل في (القيارة، والشرقاط، والجرناف، وتلول الباج، وبيجي، وتكريت، وحتى سامراء) إذ يصعد المسافرون متعبين ساهرين وربما كان بعضهم ساهراً في المحطة بانتظار وصول القطار، وعندما يصعدون تفاجئهم هذه الأجساد المنطرحة النائمة او المتناومة فيضجرون من هذه الحالة ويبدأون في التحرش بالنائمين بخشونة لأيقاظهم وإعطاء المجال لجلوسهم، ويبدأ الاعتراض والرفض وتصطدم خشونة المتناومين بهذا الإزعاج القادم في منتصف الليل، وكم حصلت شجارات وحتى معارك صغيرة استدعت أحياناً حضور شرطي القطار بسبب هذا الوضع، ولكن ما ان يعاود القطار حركته حتى يتدخل بينهم (ابناء الحلال) ثم يبدأ التراخي والتسامح، وما هي الا دقائق- وقد صفت القلوب تعقبها دقائق يتبادل المتخاصمون فيها السجائر ثم أكثر من ذلك الطعام والأحاديث الشهية المترعة بالألفة والمودة والاحترام بعد الاعتذار عن النوم بالتعب او المرض، ورغم توفر كل المتاع والاطعمة لدى أكثر المسافرين، فقد كان يصعد من محطات الطريق بعض الباعة يرافقون القطار لمحطة او محطتين او حتى بغداد يبيعون (البيض والبقصم والكعك والعلك والشاي) فترى بائع الشاي يهتز بصينيته واقداح الشاي في العربات موزعاً بضاعته، وحتى القهوة.. أتذكر ذلك الرجل الطويل (بعقال غليظ وزبون) - ولسنوات- كان يصعد من احدى المحطات (ربما كانت تكريت او سامراء) مخترقاً هدوء الليل وصمته بصوته الاجش وهو ينادي: (القهوة القهوة الطيبة المليحة) وما ان يجلس حتى يجتمع حوله الشباب يمازحونه ويناكدونه ويشربون قهوته، ثم ينتقل مردداً عبارته المكررة لسنوات الى عربة اخرى (القهوة القهوة الطيبة المليحة) حاملاً (الدلة) ومصفقاً بفناجين القهوة.. إيه ياقطار الانس والذكرى .. وهل ننسى (طالب السامرائي) المغني الضرير وصوته العذب الشجي يصدح بأغاني (السويحلي) في عمق الليل وانين العجلات، فيثير في نفوس العشاق كامن اللوعة والحزن، إضافة الى ما كان يثيره سحر الليل ونجومه والقطار وحركته من نبض قلوب الشباب والشابات فيتبادلون النظرات والبسمات ويطيلون النظر ويتجاوزونه مخترعين مسببات للحديث، وما أسهل ذلك.. وقد يبدأ الحديث ثم يجري مؤنساً ومثيراً، وقد يمتد لساعات فيتخيلون ان قصة حب قد بدأت وينعشهم ويغرقهم هذا الشعور، ولكن ما ان يظهر ضوء الصباح حتى تفاجئهم الحقيقة، فالذي جرى ما كان الا حلماً فرضه الجو الرومانسي العاطفي لليل والقطار، وعندما تنتهي الرحلة وتدب أرجلهم على أرض المحطة (الواقع) يكون كل شيء قد انتهى الا النظرة الأخيرة وكمن يخرج من فلم عاطفي مثير ولساعتين، من دار السينما ليصحو وينتبه في الشارع على دنيا الحقيقة والناس وبعد ان يبهر عينيه ضوء النهار.

حـــزام فينـــوس

أ. د. عقيل مهدي يوسف

هل يتعين على الممثل ان يشد حزامه على وسطه، وان يربط شرائط حذائه وهو يركب دوره المسرحي؟ كان جعفر السعدي يعتقد ذلك، ولاسيما ان "سالفيني" الممثل الإيطالي المعروف، كان قد أضاع شخصية الدور لأنه احتذى غير خفيه، كما يؤكد ذلك ستانسلافسكي
وغالباً ما يتطير "جاسم العبودي" من الممثل الذي ينظر الى اقدام زميله فوق الخشبة ! او يتناسى سحب بطنه وإبراز صدره وتقويم ظهره، عند الوقوف او المشي، بل كان يريد من ممثله ان يمشي وكأنه معلق من رأسه بخيط .
حتى ابراهيم جلال المولع بالشكل حسب ذائقة تلكم الأيام السالفات كان مغرماً بالممثل الذي ينتصب جذعه لكي تمتلئ رئتاه بالهواء الكافي لكي يصدر صوت الممثل من قرار مكين.
وقل كذلك عن "بدري حسون" الذي لا يروقه الخلل بالاصول المتناغمة لمكونات العرض. وحتى لا نتكهن بصواب هذا الأسلوب المسرحي او ذاك عند مخرجينا المذكورين، ونقارنهم بأجيال جديدة من المخرجين الذين - للأسف- رغم اكتهالهم- مازالوا مغيبين او كأنهم أشباح وظلال، وحلقة مفقودة في تطور مسرحنا الراهن فلا يذكرون بالملمات ولا يعطون جائزة، ولا يتم تقييمهم وفق شروط إبداعية. ربما احد الأسباب ان أحزمتهم لم تقع في موقعها التقليدي بين خطوط الطول والعرض المسرحيين! او ان الذائقة المسرحية الشائعة لا تجد مسراتها في هذه التجارب "الحديثة" التي أعادت التفكير في "فكرة" العرض المسرحي نفسه، فنقلته من حال الى حال أخرى غير معهودة، فأثارت القلق وتطلبت البحث عن تفسيرات غير متيسرة للكثيرين. وواحدة من بين تلك المشكلات ان الممثلين خرقوا قاعدة السير على قدمين، وتحول المشي الى ضرب راقص، واختلت تراتبية الاصوات في الحنجرة، وصار النشاز السمعي متآزراً مع البصري، وانهزم هيكل المنظور المتوازن، فظهرت بؤر متحركة طائرة، مرتجفة!
وصار "الحزام" نافلاً!! فلا احد يتزنره، وان حدث فان صاحبه يروم الزراية به ! هل يدل هذا على تغير اطوار الذوق الجمالي؟ فبات (الميزانسين) (وهو تعبير فرنسي يعني: وضع الشيئ او إظهاره فوق المنصة والخاص بتكوينات الممثل التشكيلية المتبدلة) لا يلتفت جدياً الى هذا الحزام، الضابط، تجاه "انموذجات" تجريبية متمردة على "المعايير" و"المقاييس" القارة. كان الروائي والقاص الفرنسي (غوستاف فلوبير) قد أشار الى هذا التبدل في الذوق الجمالي، بعد ذلك الاثراء الفني الذي أنجزته روائع ابداعية متميزة وارتقي الوعي الذاتي لدى المتلقي المعاصر، وغادر الرقعة الجمالية التي كانت تحتلها (فينوس) بنسبها المثالية الذهبية لدى "هوميروس" واضرابه. يقول فلوبير: "ان حزام فينوس قد تمزق على كرش سانشو"، بالطبع يقصد رواية "دون كيخوته" لـ"سرفانتس" التي تعتبر إيذانا بطور تقدمي جديد، وسخرية من الروايات البطولية القديمة، وكان حظ المسرح الحديث، موفوراً في توظيف هذا "الكيتش" او "المبتذل" والمنبوذ، فبت ترى مثلاً اثداء انثى لدى العراف "ترسياس" الحكيم اليوناني الأعمى، عند الكاتب المسرحي (ابو لينير)!! يا ترى ما مآل حزام سانشو بعد ان غادر كرشه الى عوالم مجهولة؟!

من المكتبة العراقية

الفريسة

رواية : لؤي حمزة عباس

من اصدارات دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد صدرت حديثاً رواية (الفريسة) للروائي لؤي حمزة عباس التي تقوم على اعطاء نظام السرد نوعاً من الشرخ المقصود بين البنية والنسيج الدرامي والتأكيد على المفارقة السردية بين الحلم والواقع حيث ترصد الرواية تفاصيل حياة مدينة ضاجة عبر زجاج سيارة فتكون للمشهد الواحد أكثر من زاوية نظر من خلال مصير رجل ونمر وامرأة وفي النهاية يضع الروائي خاتمة اخرى للذي حدث عبر معايشة حيوانات حديقة الحيوان لدخول قوات التحالف بعد انسحاب حاميها ابن الرئيس المخلوع.

حكاية الثلاث كلمات الساحرات

رواية : سعدون محسن ضمد

ضمن سلسلة الكتاب الاول التي يصدرها اتحاد الادباء العراقيين للكتاب الشباب، صدرت للروائي سعدون محسن ضمد روايته الأولى (الثلاث كلمات الساحرات) وهي رواية اعتمدت البوح الشعري في تفاصيلها والبحث في الذات الإنسانية وهي تتأمل الوجود وتسعى الى معرفة كنهه حيث تتلاقح الروح مع الكائنات الاخرى.

مقتربات الى المشروع السياسي العراقي

تأليف: أ.د. سليم علي الوردي

مجموعة دراسات اجتماعية سياسية تناقش المشروع السياسي العراقي الذي بدا منذ قيام الدولة العراقية عام ١٩٢١ حتى ٢٠٠٣ والعوائق التي وضعت امام إنشاء دولة عصرية في العراق برغم وجود قوة سياسية اجتماعية سعت لذلك وهو يرى في ٩ نيسان نوعاً من إشكالية الهدم والبناء في آن .